

أساطير وحكايات

"قاطِش وباطِش وظاطِش"

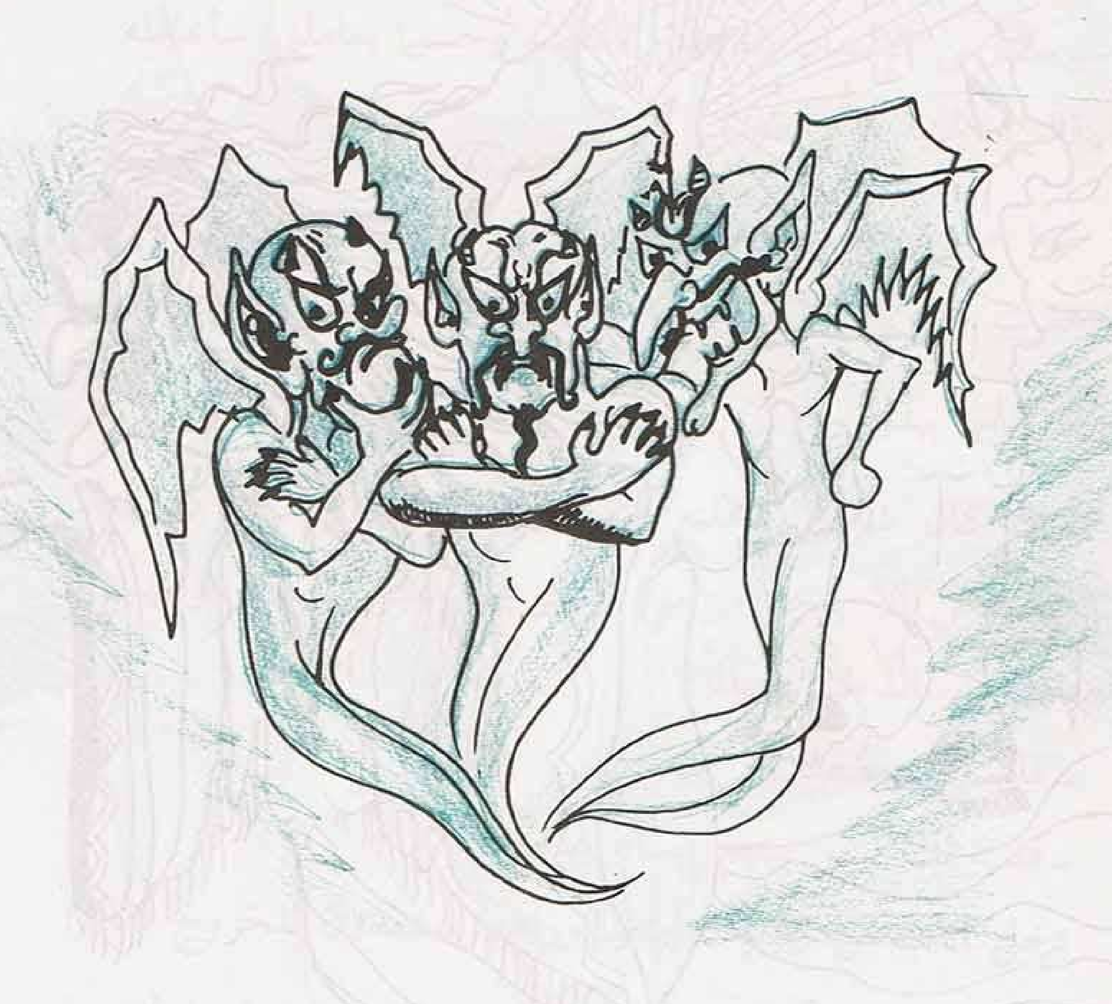
دار القلم

بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

قاطش وباطش وظاطش

تأليف : محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

جلست الجنية الأم توصي أبناءها الثلاثة قاطش وباطش وظاطش وصيتها الأخيرة قبل أن يخرجوا في جولتهم الأولى ليختبروا الإنسان ويدرسوه عن قرب قالت تحذرهم:



- لا تأمنوا للإنسان فإنه غادر ماكر يبز أبوكم في الدهاء والمكر. .

سألها قاطش بغرور

- لا تخافي يا أمي سأجعل من يقع منهم في يدي أضحوكة نتسلى عليها. .

وقال باطش

- أما أنا فسأجعل من يقع في يدي يندم على يوم ولدته فيه أمه. .

أما ظاطش فظل صامتاً فسألته أمه

- وأنت يا ظاطش. . أراك صامتاً لا تجهر بما إنتويته للإنسان.

نظر إليها وإلى شقيقيه وقال:

- سأدرس الإنسان بطريقتي الخاصة وحسبما يعاملني سأعامله

قالت الجنية الأم بغضب

- ما معنى هذا؟ أريدك مثل شقيقيك. . نغص على الإنسان حياته أينما عثرت عليه. . ألا تفهم أنه شرير وخبيث فكيف تعامله كما سيعاملك

- أجابها بهدوء

- إن كان شريراً عاملته بمثل شر وإن كان خبيثاً كنت أشد منه خبثاً. . ولكن ألا يوجد من بني البشر غير الشرير والماكر والخبيث. . ماذا لو صادفن إنساناً طيباً مسالماً؟

- قالت أمه بغضب

- قلت لك ليس بينهم إنساناً هذه صفاته

دخل الأب من جولةٍ له متعباً ورآهم يستعدون للخروج فقال:

- لا تسيروا معاً. . فليذهب كل من طريق واعلموا أنني في يومي هذا كدت أحقق أكبر إنتصاراتي على الإنسان لو لم. .

وسكت فنظروا إليه متسائلين وقالت زوجته

- لو لم ماذا؟

تنهد العفريت وقال:

- عندما أوشكت أن أنزل به ضربتي أذن المؤذن للصلاة وهب ليصلي فأسرعت بالهرب..

قالت العفريتة :

- ولماذا لم تنتظره حتى ينتهي من صلاته لتنهي ما بدأت؟

أجابها بأسف :



ـ ألا تعلمين ماذا يفعل المصلي بعد الصلاة؟ إنه يظل يسبح بإسم الله طويلاً وكلما ردد إسم الجلالة وهنت عزيمتي واضمحلت قوتي لذلك آثرت الإبتعاد فلو لم يكن الرجل تقياً ما اخترت وقتاً غير مناسب لألعب معه لعبتي . .

قال قاطش باستخفاف :

ـ يجب أن نطوّد نحن الشياطين من طريقه معاملتنا لبني البشر ونكون أكثر بطشاً وقوة . .

نظرت إليه أمه بإعجاب وهز أبوه رأسه باستخفاف وقال باطش :

ـ وأنا أنضم في الرأي مع أخي قاطش . . لقد وصل الإنسان إلى القمر وبدأ في غزو الفضاء وهو عمل يصعب حتى علينا نحن العفاريت فكيف نعامله بالطريقة عينها التي كنتم تعاملونه بها أيام كان لا يعرف إلا الحصان والجمل والحمار لتنقلانه . .

وظل ظاطش صامتاً فإلتفت إليه أبوه وسأله :

ـ وأنت يا ظاطش . . هل ستحذو حذو شقيقيك أم ستنهج نهج الآباء والأجداد في معاملتك للإنسان؟

أجابه ظاطش :

ـ لا أنا على رأي شقيقايّ ولا على رأيكم . .

ـ سألوه معاً :

ـ إذن ماذا؟

أجابهم :

ـ قلت رأيي لأمي منذ قليل، سأنهج مع الإنسان منهجه وما يتبعه في معاملتي . .

كادت العفريتة أن تفقد صوابها ولكن العفريت أسكتها وقال:

- إذهب فأنت أعقلهم وسنرى ماذا فعلتم عندما تعودون..

* * *



إفترق الأخوة وسار كل منهم في طريق، أما قاطش فقد إختار لنفسه صورة تاجر عظيم فركب بغلة مطهمة وإرتدى الثياب الفاخرة واتجه إلى السوق..

مر في السوق وشاهده التجار والدلالين وأدركوا أنه تاجر وافد على المدينة وتوقعوا أن يصيبوا من ورائه خير عميم.. أما قاطش فسار رأساً إلى شيخ التجار وأوقف بغلته ونزل بجلال ووقار..

هب شيخ التجار لإستقباله بترحاب وأمر له بالقهوة والشاي والعناب وأخذ يتملقه ويصف له قناعته..

قال قاطش:

ـ جئت أسألك تصريف بضاعتي وهي كثيرة.. لا يهمني الربح الكثير بقدر إهتمامي بالصدق في القول والأمانة..

فأجابه التاجر كالملهوف:

ـ أما هذه فهي رأس مالي الذي به أعيش ولو لم أكن صادق الوعد أمين أكنت في مكاني هذا شيخاً لتجار المدينة..



كانت خلف التاجر ستار مسدل منه إلى منزله يدخل وكانت زوجته جالسة تصغي إلى الحديث بإهتمام ومن فرجة صغيرة شاهدت قاطش في مجلسه وكانت قد تعلمت السحر وفنونه على يد عجوز حيزبون وبرعت فيه وأدركت أن هذا التاجر ما هو إلا عفريت خبيث جاء لغرض في نفسه وقررت أن تصبر عليه حتى تتضح نواياه . .

سمعت زوجها يسأله:

- وأين خزنت البضاعة لعلك وفقت إلى خان آمن؟

أجابه قاطش:

- القافلة اتية في الطريق وقد تصل اليوم ويهمني بالطبع أن أجد لها المكان الملائم فهل عندك مثل هذا المكان؟

أبرقت عينا المرأة وساءلت نفسها:

- ترى إلى أي شيء يهدف هذا اللعين؟

وسمعت زوجها يجيبه بحماس شديد:

- بالطبع عندي المكان الذي تريد وأنا بنفسي سأشرف على تخزين بضائعك حتى يتم بيعها . .

نهض قاطش وقال:

- إذن إنتظر حضوري هذا المساء . .

ونهض شيخ التجار يودعه حتى الباب وهو يعشم النفس بالربح الوفير وركب قاطش بغلته وسار بها مسرعاً وعاد شيخ التجار مسرعاً إلى مكانه فسمع زوجته تهمس:

- تبدو سعيداً يا حاج.

إلتفت نحو الستار وقال بصوت خافت:

- وأي سعادة يا إمرأة . . إنها صفقة أرجو من ورائها ربحاً خيالياً . .

أجابته المرأة بدهاء:

ـ إذن فقد صدقت مزاعم هذا العفريت الخبيث؟

بهت الحاج وسألها برعب:

ـ عفريت.؟ هذا التاجر الوقور عفريت؟

أجابته المرأة:

ـ نعم ولكن لا تخف.. فلننتظر حتى نرى أي لعبة يدبر وبعدها نرد كيده إلى نحره..

* * *

سار قاطش ببغلته حتى خرج بها خارج المدينة وتوقف ثم ربط البغلة



واختفى وبعد قليل شوهدت قافلة كبيرة محملة بالبضائع الغالية الثمينة تتقدم نحو المكان وظهر قاطش وركب بغلته ووقف في إنتظار وصولها..

تقدم قاطش القافلة واخترق شوارع المدينة حتى وصل إلى السوق فأخذته أنظار التجار وتطوع في حمل الخبر إلى الحاج شيخ التجار الذي نهض من مكانه مسرعاً ودخل على زوجته وكانت تجلس أمام موقد وتلقى فيه البخور وتتكلم بكلمات غير معروفة ثم إبتسمت ونظرت إلى زوجها وقالت:

- وصلت القافلة.. أليس كذلك؟

أجابها بإضطراب شديد

- وصلت وأنا أكاد أموت من شدة الخوف..

إبتسمت المرأة وقالت:

- ولم الخوف وأنا إلى جوارك.. أنصت إلى ما أقول.. حمولة القافلة بأكملها ستكون لك رزقاً حلالاً فلا تخف.. إستقبله وفرغ الحمولة واعلم منه ما يريد..

وخرج الحاج مسرعاً وإستقبل قاطش بترحاب شديد وأجلسه إلى جواره وأمر العمال بنقل البضاعة إلى داخل مخازنه حتى إنتهوا..

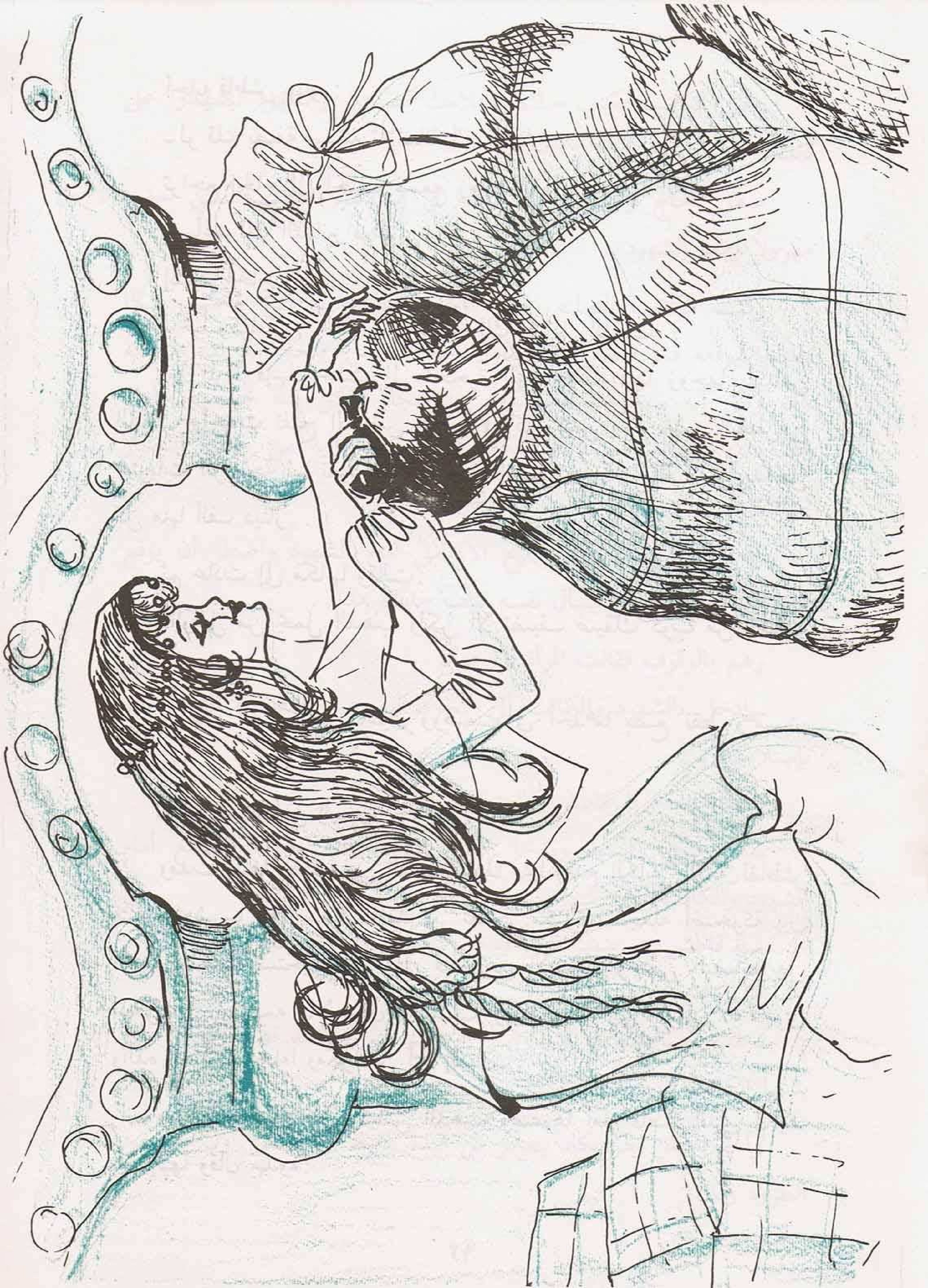
قال قاطش:

- الآن.. كم أعددت من الدنانير لتدفعه لي..

كانت المرأة تصغي بإنتباه شديد لما يدور بينهما وإبتسمت وغادرت مكانها ودخلت إلى مخزن البضائع وفي يدها قنينة بداخلها سائل أصفر اللون أخذت في رشه على البضائع وهي تبتسم ثم عادت إلى مكانها..

سمعت زوجها يقول:

- كم تريد؟ مر بما تشاء..



أجابه قِاطش بهدوء:

ـ لو قلنا بصفة مبدئية ثلاثمائة ألف دينار..

تراجع الحاج إلى الخلف فسمع زوجته تقول:

ـ سأعد لك الدنانير فوافق..

إبتسم الحاج وقال:

ـ حباً وكرامة.. لحظة حتى يعدوا لك أكياس الذهب..

أما المرأة فإنها دخلت إلى الحجرة التي يحتفظ فيها زوجها بأكياس الذهب وأخذت تفتح الأكياس وتلقي في كل كيس منها بعض النقط من محتويات الزجاجة ثم تعيد إغلاقها حتى إنتهت من ثلاثمائة كيس بداخل كل منها ألف دينار..

ثم عادت إلى مكانها وقالت:

ـ إرسل من يحمل الذهب ولكن الا تضيف ضيفك كوب من العناب أولاً..

وصبت العناب في كأسين ووضعت في أحدهما بضع نقط وهمست لزوجها:

ـ قدم له الكِأس اليمين..

ومدت يدها بصينية من الفضة تناولها منها وقدم الكأس اليمين لقاطش فتناولها وشربها وهو سعيد، لقد دبر للتاجر مكيدة ستجعله أضحوكة بين التجار عندما يستحيل ذهبه إلى قطع من الأحجار وتختفي البضائع من المخزن.. سيتهمه بالإحتيال والنصب ويذهب به إلى الوالي.. سيرى والده أنه أشد دهاءاً ومكراً من أي إنسان..

وبدأ العبيد في نقل أكياس الذهب وصفوها أمام قاطش الذي لم يمد يده إليها وقال بهدوء:

ـ أين الكاتب ليكتب صك إستلامك بضاعتي والشهود ليشهدوا على ذلك؟

صفق الحاج وأرسل أحد عماله في إستدعاء الكاتب الذي حضر مهرولاً ومعه الشهود . .

وكتب الكاتب الصك وختمه الحاج بختمه ثم قدم لقاطش صكاً بالمبلغ ليوقعه فمد قاطش يده وتناول أحد الأكياس وفتحه ومد يده بداخله وهو واثق أنه سيخرجها بقبضة من الأحجار ولكن يده خرجت حاملة حفنة من الدنانير فجمد في مكانه والمرأة تنظر إليه من خلف الستار وتضحك . .

وفعل الشيء نفسه في جميع الأكياس أمام الشهود واضطر أن يوقع على الصك وهو ذاهل يسأل نفسه كيف حدث هذا . .

وهم بالوقوف فقالت المرأة لزوجها:

ـ إدخل بالشهود والكاتب إلى المخزن ليفحصوا البضاعة التي وقعت بإستلامها . .

إلتفت الحاج إلى قاطش وقال:

ـ هل يتكرم السيد ويدخل معي إلى المخزن لنجرد البضائع أمام الشهود والكاتب . .

نهظ قاطش وهو يتميز غيظاً ودخل برفقتهم إلى المخزن . .

قال الحاج:

ـ هذه بضاعتك يا سيدي . . أرجوك أن تجردها قطعة قطعة حتى يثبتها الكاتب في صكه . .

وأخذ قاطش وهو يكاد ينفجر من شدة الغيظ في فحص أول طرد من الطرود وقال:



ـ هذا سجاد من شيراز . .

تقدم أحد الشهود وكشف عن الطرد فوجد بداخله أقمشة بالية . .

نظر الشاهد إلى قاطش وقال :
ـ ما هذا؟ أين السجاد؟ إنه قماش بالي لا يساوي درهم . .
حملق قاطش في البالة وقال:

ـ كيف حدث هذا . .

وأخذ يفتح الطرود واحد بعد الآخر فوجدها كلها كالطرد الأول لا تحتوي إلا على خرق بالية . .

أمسك به الشاهد وقال:

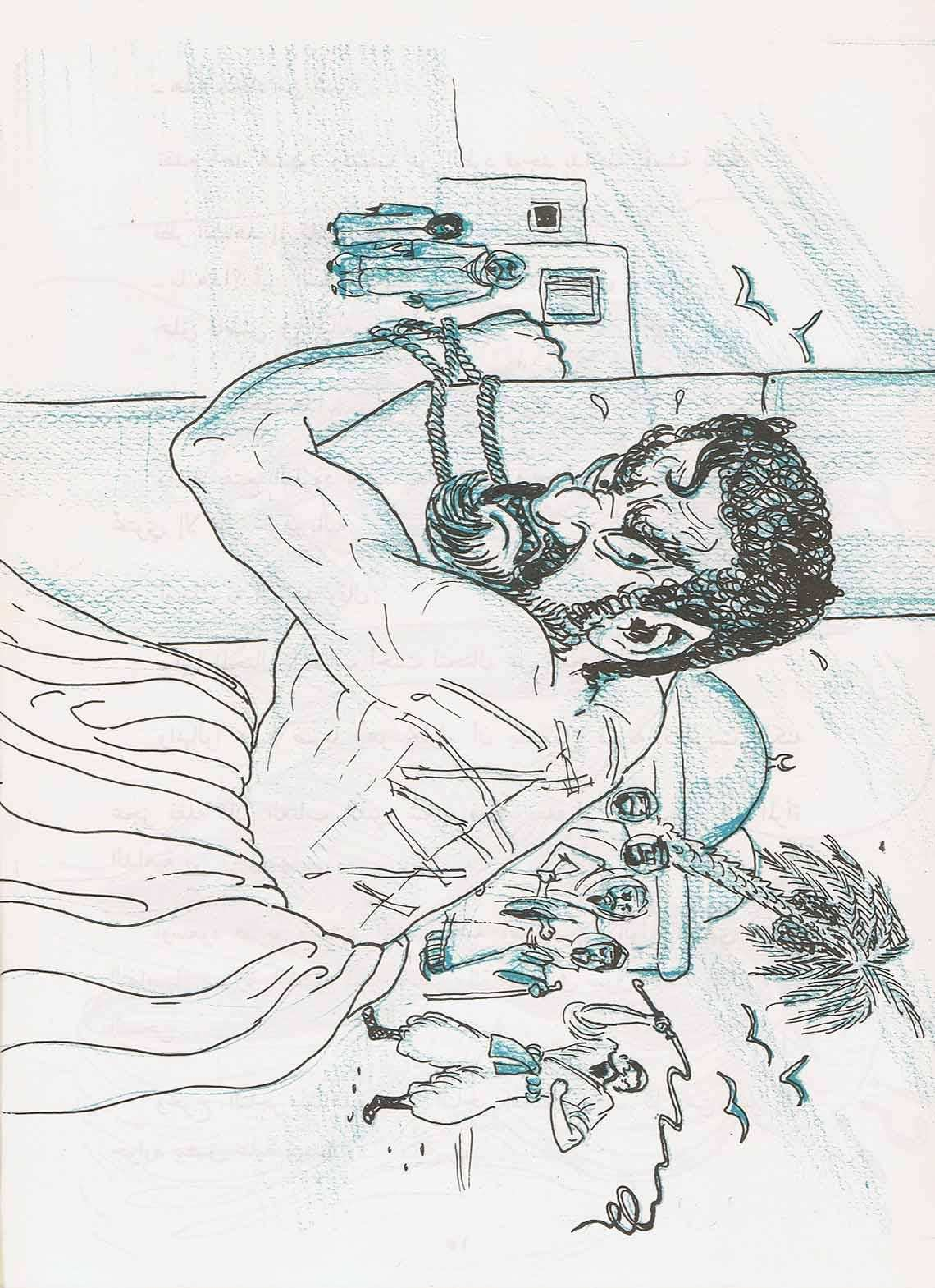
ـ أيها المحتال النصاب أجئت لتحتال على شيخنا الطيب . .

وانهالوا عليه ضرباً وهو يحاول أن يستعمل قدرته كعفريت ولكنه

عجز فقد كان العناب الذي شربه فعالاً بعد أن قطرت له فيه المرأة الداهية من زجاجتها . .

أوسعوه ضرباً وإسترد التاجر ذهبه وساقوه إلى الوالي الـذي سمع التفاصيل معززة بالشهود فأمر بجلده مائة جلدة في سوق البلدة والقاؤه في السجن . .

وخرج التاجر لمشاهدة جلد التاجر المحتال وكان كل من يمـر إلى جواره يبصق عليه ويسبه . .



وأوصوا به الجلاد ليذيقه طعم سوطه فإنهال عليه وهو يصرخ ويستغيث حتى أدمى ظهره ثم حملوه وألقوا به في السجن وهو يئن ويتوجع..

عاد الحاج إلى محله مسرعاً ودخل على زوجته فوجدها تضحك سألها بدهشة:

- كيف إكتشفت أمر هذه البضائع المغشوشة دون أن تفتحي واحد من الطرود؟

نهضت من مكانها وهي مستمرة في الضحك وقالت:

- عن أي بضاعة مغشوشة تتحدث؟ دعنا نرى..

أجابها بحدة:

- نرى ماذا؟ لقد فتحنا كل الطرود والأكياس أمام الشهود ولم نجد بداخلها إلا خرقاً ممزقة..

قالت ببساطة:

- طالما الأمر كذلك لماذا لا تذهب معي لنأمر بإلقائها خارج مخازننا.

سار معها زوجها وهو كاره فتقدمت من أول الطرود وكشفت عنه فإذا بداخلها سجاد من أفخر أنواع السجاد الشيرازي..

هتف الرجل مصعوقاً:

ـ يا ألطاف الله؟ إنه سجاد فاخر. . ولكن كيف حدث هذا؟

وأخـذت تنتقل بـه من طرد إلى آخـر فهنا الحـرير الهنـدي وهنا منسوجات الشام الثمينة وتلك بهارات من الهند. .

تدلى فك الحاج من شدة الذهول وقال:

ـ لعنة الله عليك. . لماذا فعلت به كل هذا؟

أجابته وهي تضحك:

ـ أتلعنني ولا تلعن هذا العفريت الخبيث الذي ما جاء إلا ليجعلك أضحوكة بين الناس بعد أن يحيل ذهبك إلى تراب وأحجار. .

وشرحت له الأمر فقال:

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. . وماذا أفعل الآن بهذه البضائع. .
أجابته المرأة:

ـ ألم أقل أنها رزق حلال سعى إليك. . هنيئاً لك بما عطيت. .

كان باطش وظاطش يقفان جانباً يشاهدان كل ما جرى من البداية إلى النهاية. .

إلتفت باطش إلى ظاطش وسأله ساخراً:



ـ ألا زلت عند رأيك أم أقنعك هذا الدرس . .

أجابه باطش :

ـ كان أخي غبياً أما أنا فلن أتراجع حتى أجعل من الإنسان أضحوكة وسيكون غريمي هو أكبر رأس في البلد . . السلطان نفسه . .

تمت

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وظاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت ظاطش
- زهران والمارد الغضبان
- ياليل ياعين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص . ب : ٣٨٧٤ - تلكس : ٤٢٣٨٩ - برقياً : قلمطاب - هاتف : ٢٧٢٠٢٠

الثمن : ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها